في هذا الكتاب فصولاً في اهمّ التعاليم الدينيّة وواجبات المسيحيّ نحو خالقهِ ونحو قريبهِ ونحو نفسهِ . وهذه الفصول قصيرة سهلة القراءة نافذة الى القلب لا يقرأها القارئ دون ان يزيد حبًّا بالعلويّات وبغضًا للسفليّات وحطام الارض

اليَّا النبيّ

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٢٠ من شهر تمّوز تقيم الكنيسة في الشرق والغرب عيدًا خصوصيًّا للقديس ايليّا النبيّ . ولمّا كان اسم هذا القديس شائعًا في بلادنا لا يزال ذِكرهُ فيها حيًّا احببنا ان نعرض للقرّاء لمعةً من اخبارهِ مع تدوين بعض المشاكل المتوطة بهـا ونقسّم ذلك الى فصول ايثارًا للايضاح

*

﴿ اسم اليَّا النبيّ ﴾ اليَّا او ايليَّا عبرانيّ مركّب من لفظتين كلتاهما من الاسماء الحسنى وهما « إل » (אל) بمعنى الاله و « يه » (יה) مختصر يَهْوَه (יהוה) اي الكائن والواجب الوجود . فيكون معنى اسم ايليـا « الله هو الكائن » او « الله هو الربّ » او « الله هو القدير » . وعلى قول الربّانيين انّ النبيّ لم يُدعَ اوّلًا بهذا الاسم وانّما كان اسمهُ يبرشيث او يبرشوع فلمّا قدّم على جبل الكرمل تلك المحرقة العجيبة التي تلتهمها الله برائحة الرضى فالتهمتها نار السماء وصرخ الشعب « الربُّ هو الاله الربُّ هو الاله » أُطلق حينئذٍ على النبيّ هذا الاسم اشارة الى صراخ الشعب فدُعي اليَّا

ولهذا الاسم في الشرق صورة اخرى فيدعونهُ الياس وعندنا انهـا مشتقّة من صورة اسمهِ في اليونانيّة (Ἠλίας) . وللعرب في تأويل اسم الياس اقوال غريبة . قال ابن دريـد في الإشتقاق (ص ٢٠) : « يمكن ان يكون اشتقاق « الياس » من قولهم « يئس ييأس يأسًا ثمّ ادخلوا على اليأس الالف واللام ويمكن ان يكون قولهم « رجل أليَس » من « قوم ليس » اي شُجاع . وهو غاية ما يوصف بهِ الشجاع . هذا لمن يهمز اليأس والتفسير الاوّل احبّ اليّ »

ولهذا النبيّ العظيم عند العرب اسم آخر طالما اختلفوا في حقيقته يزيد به اسم الخَضِر بفتح الخاء وكسر الضاد والعامّة تقول « الخُضر » . وقد توفّرت الآراء في صاحب هذا الاسم فمنهم من قال أنهُ اخنوخ او اخنوخ بن يارد بن مهللئيل والاصحّ انّ اخنوخ يُدعى عند العرب باسم ادريس . ومنهم من زعم انهُ ارميا النبي ولا سند لهم في زعمهم وقال قوم ان الخضر هو اسم جرجس الشهيد وهو بعيد لأنّ الخَضِر على قول العرب كان قبل المسيح بعهد طويل اما القديس جرجس فمن شهداء القرن الرابع بعد المسيح . وعليهِ فانّنا نرجّح كون الخضر هو احد اسماء النبيّ ايليّا وما يحملنا على ذلك قول قدماء الكتبة من مسلمين ونصارى . قال الطبري في تعريف الخضر (طبعة ليدن ج١ : ٤١٥) : « اسمهُ بليا بن ملكان » فقولهُ « باليا » تصحيف « يليا » كما ورد في بعض النسخ . وبليا كايليّا . وفي تاريخ سعيد بن بطريق (ص ٥٦ من الطبعة الجديدة) عند ذكرهِ الانبياء الذين تنبّأوا على عهد يوشافاط ما نصُّهُ : « وتنبّأ في أيامهِ ميخا . . . وايليّا وهو الخضر » ولهُ قبل ذلك في ذكر فنحاس (ص ٣٤) ما حرفهُ : « واليهود يزعمون انّ فنحاس الكاهن هو ايليّا النبيّ الذي يسمّونهُ العرب الخضر » . وكذلك للعرب في ترجمة الخضر اقوال تنطبق مع ما ذكر الكتاب الكريم عن اليّا النبيّ كدعوتهِ لبني اسرائيل وتصدّيهِ لملوكهم وبعض معجزاتهِ وبالخصوص وجودهُ في الحياة . على انهم قد رووا ايضاً عن الخضر اموراً غريبة لا يمكن نسبتها الى النبيّ ايليّا كاجتماع الخضر مع موسى النبيّ . وكذلك لهم في سبب تسميتهِ بالخضر تأويل شتّى لا نتريّث بذكرها لتناقضها اشهرها انهُ كان يلبس الاخضر

﴿ وطنهُ واصلهُ ﴾ كان ايليّا النبيّ من مدينة تشبة كما يُستدلّ على ذلك من نسبتهِ في الاسفار المقدّسة . وتشبة هذه موقعها في تخوم جلعاد التي كانت أُعطيت لسبط جاد كحصّة ميراثهم . وفي سفر الملوك (٣ ملوك ١٧ : ١) ما يؤيد ذلك حيث جاء في نسبهِ « ايليّا التشبيّ من سكّان جلعاد » . على انّ وقوع تشبة في املاك بني جاد ليس بدليل قاطع على انّ ايليّا كان من هذا السبط . ومما يرويهِ الربّانيّون عن اصلهِ انهُ كان من سبط لاوي ومن بني هارون . وقد نقل ذلك بعض الكتبة ولم يمكنهم الجزم بهِ لعدم وجود البيّنات على الامر . وكذلك ابواهُ واهلهُ فانّ التقاليد في رواية نسبهِ مضطربة . ومما رواهُ القديس ابيفانيوس في كتابهِ عن البدع (البدعة ٣٥)

انَّ اليهود كانوا يزعمون بانَّ ابا ايليَّا كان يدعى اخياس واسم جدّهِ صادوق وانهُ كان من اسرةٍ كهنوتيَّة وانَّ اسم اخيهِ يوياداع ويدعون امهُ اسملت من بنات سليمان النبيّ . وفي كلّ ذلك مزاعم لا يمكن اثباتها بحجج راهنة روياها على علّاتها

﴿ زمانهُ ﴾ ليس في الاسفار المنزلة شيء عن مولد ايليَّا النبي وزمن نشأتهِ وانما يؤخذ من مقابلة النصوص الواردة في اعمالهِ ومعجزاتهِ انهُ كان في ايَّام آحاب ملك اسرائيل رجلًا كهلًا تامّ القوى جريّ المُقدم تهابهُ الملوك وتكرمهُ الناس بمنزلة نبيّ . فان جعلنا عمرهُ حينئذٍ من ٣٠ الى ٤٠ سنة لكان مولدهُ في اواسط القرن العاشر قبل المسيح . وكان اوَّل ظهورهِ في ايَّام آحاب الذي تولَّى الامر على بني اسرائيل في السامرة من السنة ٩١٨ الى السنة ٨٩٧ . ثم عاش من بعد آحاب في ايَّام ولديهِ احزيا (٨٩٧) ويورام (٨٩٦—٨٨٤) وفي عهد يورام اصعدهُ الله الى السماء واوراهُ عن عيون البشر . فان افترضنا وقوع ذلك نحو سنة ٨٨٠ تم لحقّ القول بان هذا النبيّ عاش على الارض نحو سبعين سنة

﴿ مجمل اخباره ﴾ انَّ الروح القدس بنفسهِ قد سطَّر اعمال ايليَّا النبيّ فرواها لنا كتبة الاسفار المقدَّسة كما أُوحيت لهم وكما اخذوها عن مصادر ثقة قريبة من زمانهم . وهذه الاخبار مرويَّة بالتفصيل في سفري الملوك الثالث والرابع وفي اخبار الايَّام الثاني . واوَّل ما ذُكر من اعمالهِ حبسهُ لامطار السماء مدَّة ثلث سنوات عقابًا لبني اسرائيل وملكهم آحاب لجحودهم عبادة الاله الحقّ . ولمَّا عمَّ الجدب بلاد فلسطين امر الله الغربان بان تقيت اليَّا ثمَّ نزل عند امرأة ارملة من صرفت اكرمت مثواهُ واضافتهُ بخبزتها الاخيرة فكافأها الربُّ على يدهِ بأن بارك دقيقها وزيتها وكثَّرهما بنوع عجيب طول السنين الثلث التي دامت فيها المجاعة . ثم جازاها خيرًا فوق ذلك اذ ابتهل الى الربّ إلههِ واقام ابنها وحيدها من الموت وردَّهُ لها بعد الصحَّة وتمام العافية . وقد اشار السيّد المسيح في الانجيل الى معجزة ايليَّا هذه حيث قال (لوقا ٤ : ٢٦) : في الحقيقة اقول لكم انَّ ارامل كثيرات كنَّ في اسرائيل في ايَّام ايليَّا حين أُغلقت السماء ثلث سنين وستَّة اشهر وحدث جوع عظيم في الارض كلها فلم يُبعث ايليَّا الى واحدة منهنَّ الَّا الى صرفت صيداء الى امرأة ارملة »

وقد ألحق ايليَّا هذه المعجزة بخوارق أُخرى اذ دعا آحاب ملك اسرائيل وكهنتهُ

الكذبة الثمانمائة والخمسين الذين اقامهم لعبادة البعل وعشتاروت وعرض عليهم بان يصعدوا محرقة لالههم وهو لالههِ دون نار بازاء كلّ الشعب الذين اجتمعوا فوق جبل الكرمل ولمّا حاول كهنة الاصنام الامر بالدعاء الى آلهتهم وذهبت مساعيهم سدًى قام ايليا وبنى مذبحًا ونضّد فوقهُ حطبًا ثم جعل عليهِ الذبائح وصبَّ عليها ماء ثم دعا باسم الههِ اله ابراهيم واسحاق ويعقوب فهبطت نار الربّ من السماء واكلت المحرقة والحطب والحجارة فعظّم بنو اسرائيل الههم وقالوا « الربُّ هو الاله الرب هو الاله » وكان ختام تلك الحادثة ان غار ايليًا غيرة للربّ وضحّى لهُ كهنة البعل عند نهر قيشون . ثم تلبّدت السماء بالسحب وما لبثَ المطر الجود ان ينهطل على الارض ويحييها بعد مواتها

لكنَّ هذا النصر الباهر على الوثنيّة اثار الضغينة في قلب ايزابل امرأة آحاب فآلت على نفسها ان تنتقم لآلهة الصيدونيين قومها فبثّت العيون على ايليًا الذي هرب من وجه اعدائهِ وتوغّل في اقفار العربيّة بالهام من الله . وكان الربُّ ارسل اليهِ ملاكهُ ليقوّيه في طريقهِ ويقوتهُ بخبز سماوي بلّغ بهِ الى قصوى غايته اعني الى قمّة جبل حوريب في شبه جزيرة سينا حيث تجلّى الله عزّ وجلّ لنبيّهِ وارصاهُ ان يمسح حزائيل ملكًا على ارام وياهو على اسرائيل ويمسح اليشاع نبيًّا بدلًا منهُ . وفي طور سينا الى يومنا هذا ترى المغارة التي بات فيها ايليًا وهي كنيسة سبق وصفها في المشرق (١٠٠٦:٧) . وكأنَّ الله اتى بنبيّهِ الى هذا الجبل المقدّس ليظهر لهُ كنوز حكمتهِ كما كان فعل من قبلهِ مع عبده موسى الكليم في الموضع عينهِ

وقد اثّرت هذه الرؤيا الالهيّة في قلب ايليًا فعاد الى فلسطين بقوّة جديدة ليجاهد جهاد الله فسكن اوّلًا في جبل الكرمل وقدّسهُ بفضائلهِ وفضائل الذين اتوهُ ليتقطعوا معهُ الى خدمة الله لا سيّما تلميذهُ اليشاع . ومغارتهُ في الكرمل مزار تجري فيها الكرامات والنعم الى يومنا هذا ويعدّها الآباء الكرمليون كمثنا طريقتهم الذكيّة ويكرمون ايليا كابيهم ورئيس رهبانيّتهم

الّا انَّ القديس لم يتمتّع زمنًا طويلًا بهذه الخلوة فاستدعتهُ الاحوال الى ان يخرج منها وامرهُ الربّ ان يسير الى آحاب ويتوعّدهُ وايزابل امرأتهُ بالعقاب العاجل لاغتصاب الملكة ايزابل حقل نابوت بعد ان سعت بقتلهِ ظلمًا . وهذه النبوّة تحقّقت بالفعل بعد

سنين قليلة فانقطع نسل آحاب وأُلقيت ايزابل من شرفات دارها فماتت وافترستها الكلاب كما تنبأ ايليا عنهما

وقد بقي النبيّ ينتصر لله بعد موت آحاب فتصدّى لاحزيا ابنه واندره كما فعل مع ابيه ولمّا لم يسمع لكلام رجل الله أُصيب بنكبة عظيمة اودت بحياته وقام اخوه يورام بدلًا منه لكنهُ اساء السلوك كاحزيا واستحقّ ان يُجلب عليه نقمة تعالى كما سبق ايليّا وتهدّده بها

﴿ انتقال ايليا الى السماء ﴾ كانت حياة ايليا على الارض اجدر بالملاك منها بالانسان فشاء الله ان ينقله عن الارض على نمط عجيب لم يسبقهُ اليه غيره قال صاحب سفر المكابيين الاوّل (٢ : ٥٧) : « وايليّا بغيرته للشريعة صعد الى السماء » وقد وصف الكتاب صعوده هذا في الفصل الثاني من سفر الملوك الرابع وذلك انهُ كان سائرًا مع تلميذه اليشاع يتحادثان « واذا مركبةٌ ناريّة وخيلٌ ناريّة قد فصلت بينهما وطلع ايليّا في العاصفة نحو السماء واليشاع ناظر وهو يصرخ: يا ابي يا ابي يا مركبة اسرائيل وفرسانهُ ثمّ لم يرهُ بعد ذلك ». وقد اتّفق الاباء ومفسّرو الكتاب الكريم في شرح هذا الكلام على انّ ايليّا النبيّ توارى الى حيث اراد الله لكنهُ لم يمت بانفصال جسده عن نفسه . وان كان الامر كذلك فان ايليّا لم يتوطّن بعدُ دار النعيم مع القديسين واولياء الله الذين يتمتّعون برؤيته تعالى . وانّما سيحظى بذلك يومًا لمّا ينتهي اجلهُ بالموت . اما مقامهُ في الوقت الحاضر وكيفيّة معاشه واحوالهُ فكل ذلك اسرار مكنونة لا يعلمها غير الله

﴿ مقامهُ ﴾ انّ للقديس ايليّا مقامًا رفيعًا بين انبياء العهد القديم يدلّ عليه ما اطرأهُ به الروح القدس في سفر يشوع بن سيراخ حيث قال في مدحه (٤٨ : ١—١٣)

« وقام ايليّا النبي كالنار وتوقّد كلامهُ كالمشعل . بعث عليهم الجوع وبغيرته ردّهم نفرًا قليلًا . أطلق السماء بكلام الربّ وأنزلَ منها نارًا ثلاث مرات . ما اعظم مجدك يا ايليا بعجائبك ومن لهُ فخرٌ كفخرك . أنت الذي أقمتَ ميتًا من الموت ومن الجحيم بكلام العليّ . وأهبطت الملوك الى الهلاك والمفتخرين من أسرّتهم . وسمعتَ في سيناء القضاء وفي حوريب أحكام الانتقام . ومسحتَ ملوكًا للنقمة وأنبياء خلائف لك . وخُطفتَ في عاصفة من النار في مركبة خيل نارية . وقد اكتبك الربُّ لاقضية تجرى في اوقاتها ولتسكين الغضب قبل حدّته ورد قلب

الاب الى الابن وإصلاح أسباط يعقوب . طوبى لمن عاينك ولمن حاز فخر مصافاتك . إنّا نحيا هذه الحياة وبعد الموت لا يكون لنا مثل هذا الاسم . وتوارى ايليّا في العاصفة فامتلأ اليشاع من روحه »

فيتّضح من هذه الآيات انّ رتبة ايليّا سامية جدًّا جعلهُ الربّ كموسى آخر ليهدي شعبهُ ويردّهُ من ضلال الشرك الى عبادته تعالى . وقد عظّمهُ بازاء اسرائيل كما عظّم موسى واجترح على يدهِ المعجزات الباهرة . ومثل موسى الكليم قد دعاهُ الى حوريب ليناجيهُ هناك كما يكلّم الصديق صديقهُ . ولذلك تراهُ يوم تجلّى السيّد المسيح على طور طابور قد ظهر مع موسى النبيّ ليشهد كلاهما بلاهوت المخلّص ويعاينا مجدهُ . ولمّا اراد الربّ لذكرهِ السجود ان يثني على القديس السابق يوحنّا المعمدان لم يجد مدحًا اولى بهِ من ان يدعوهُ باسم ايليّا ويشبههُ بهِ حيث قال (متى ١١ : ١٤) : « انهُ هو ايليّا الزمع ان يأتي » وكان الملاك جبرائيل سبق ووصفهُ بروح ايليّا وفضلهِ لمّا بشر بهِ زكريّاه فقال (لوقا ١ : ١٧) : « وهو يتقدّم امام الربّ بروح ايليّا وقوّتهِ ليردّ قلوب الآباء الى الابناء والعُصاة الى حكمة الابرار ويُعدّ للربّ شعبًا كاملًا »

﴿ مجيئهُ في آخر الازمان ﴾ وقد بقي لايليّا النبيّ مهمّة عهدها الله اليهِ وهو لا يقوم بها الّا في آخر الازمان . وذلك عند ظهور « رجل الخطيئة » اي المسيح الدجّال الذي اذا ظهر على الارض سوف يملأ المعمور شرورًا وينصب عرشهُ لمقاومة الربّ الاله فيخدع الشعوب ويكاد يمحو بين البشر اسم الله عزّ وجلّ . وبينما هو يظنّ انهُ بلغ اوج عزّهِ فيحسب انهُ فاز بمرغوبهِ واذا بايليّا الذي ادّخرهُ الله لتلك الساعة ليخذل بهِ اعداءهُ يظهر فيتصدّى للنبيّ الكذّاب مع احتوخ البار وعنهما يقول صاحب الرؤيا (١١ : ٣) : « سأقيم شاهدَيّ فيتنبّأان . . . ذانك هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان امام ربّ الارض » . على انّ الدجّال سيظفر بهما ويُميتهما لكنّ موتهما سيكون علامة انتصارهما وسقوط كلّ قوّات الجحيم وظهور ابن الله بالعزّة والجلال ليدين البشر

تلك هي الاحداث العظيمة التي تنتهي بها دعوة ايليّا النبيّ وهي كما ترى من الاسرار التي سوف تنكشف في آخر الاعصار فقط . وهذا المعتقد بمجيء ايليّا النبيّ ليس هو مختصًّا بالنصارى بل هو شائع ايضًا بين اليهود وغيرهم . ولليهود فضلًا عن ذلك رأي آخر وهو انّ المسيح لا يمكنهُ ان يظهر على الارض الّا بأن يتقدّمهُ ايليّا

النبيّ . ولذلك تراهم لمّا جاء المخلّص يسوع يسألون عن ايليّا فتارةً يدعون باسمِ يوحنا المعمدان وتارةً يطلقونهُ على السيّد المسيح كأنّهم خصُّوا بمجيء المسيح الاوّل ما لا يصدق الّا عن مجيئهِ الاخير في منتهى الاجيال

﴿ عيدهُ ﴾ ليس من عادة الكنيسة ان تكرم احدًا من اولياء الله في حياتهِ فتقيم لهُ عيدًا وتستشفع بهِ الّا اذا انتقل الى حياة البقاء وانتظم في سلك الابرار . وهي مع هذا قد استثنت من هذا الحكم ايليّا النبيّ فتحظّهُ وتنوّهُ بذكرهِ وتحتفل بعيدهِ كأنّهُ في مصفّ القدّيسين الذين يحظون برؤية الله . وهذا لعمري من الامور التي تشهد لرفعة القديس الياس وسموّ درجته . وقد تعقّبت البيعة في ذلك آثار الروح القدس عينهِ الذي طوّب ذلك النبيّ فما احرى بالكنيسة ان تقتدي بعريسها الالهي . ومن ثمّ ترى عيد القديس ايليّا قد انتشر في كلّ كنائس المعمور . وعبادتهُ في بلاد الشرق اعظم واحفل لاسيّما منذ اقامة الآباء الكرمليين على ذلك الجبل الذي جرت فيهِ معجزات ايليّا فانّهم سعوا بنشر عبادتهِ في كلّ بلاد الشام وقد جازاهم النبيّ على همّتهم بما اصطنع من الكرامات المتعدّدة في ذلك المكان وخصوصًا في الكنيسة التي اقاموها على اسمهِ فاننا كثيرًا ما سمعنا بذكر معجزات اجترحها القديس سواء كان لمنفعة النفوس او لشفاء الاجساد او لردّ كيد الاشرار . وقد قرأنا في التاريخ شيئًا من ذلك ويا حبّذا لو عُني الآباء الكرمليون بجمع هذه الاخبار فينشروها تعميمًا لعبادة القديس ايليّا بين المسيحيين الشرقيين

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع للمجلد السابق ٨: ١٠٥١)

٧ الكتبة الكنيسيّون الى القرن الخامس عشر : رابعًا الاقباط

١١٨ كتاب كبير الحجم مجلّد حديثًا في مطبعتنا بمجلد وقاش طولهُ ٣٢ في عرض ٢٣ س صفحاتهُ ٣١٨ وفي الصفحة ١٩ سطرًا وهو مكتوب بخطّ غليظ كنسيّ واضح على ورق متين بحبرين اسود واحمر والكتاب للانبا ساويروس بن المقفّع اسقف الاشمونين الكاتب القبطي اليعقوبيّ الشهير الذي ازهر في اواخر القرن العاشر ولهُ